حكايات الأماني
لكل قصة عبرة، ولكل خيال وقع
أمَانِي عَبْدُه

# حكايات الأماني

أماني عبده

2025

اسم الكتاب: حكايات الأماني
المؤلف: أماني عبده
نوع الكتاب: قصص قصيرة.
عدد الصفحات: 59.
مصمم الغلاف: مرتضى محمود العواضي.
التنسيق الداخلي: آيات عبدالرزاق.

---

حقوق النشر:
جميع حقوق الكتاب محفوظة للمؤلف.
يمنع أي شكل من أشكال النسخ أو الاقتباس أو النشر بدون إذن صريح من المؤلف.

أنا أماني وهذه القصص بين أيديكم. كتبتها من خيالي، وأودعت في كل واحدة منها عِبرة، وجعلت لكل عِبرة قصة، ولكل قصة عِبرة.
تأملوها جيدًا، فلعلكم تجدون فيها شيئًا من حياتكم، موقفًا مرّ بكم، شعورًا عرفتموه، أو فكرةً توقظ عقولكم وتلهم قلوبكم.
سأقرأها معكم، ولربما تكون سببًا في أن تستفيدوا من حياتكم، أو تعيدوا النظر في أخطاءٍ مرت بعقولكم، لتصبح التجربة درسًا يُضيء الطريق أمامكم.

كل قصة هنا هي نافذة على عالم الخيال... عالم كُتب بكل حب، مليء بـ الدهشة والروعة، حيث تتحرك الزهور، وتطير الفراشات، وتضحك القلوب الصغيرة والكبيرة معًا.
تعالوا معي إلى عالم حكايات الأماني، لنغوص في هذه الحكايات ونستمتع بكل لمسة من الخيال، ولعلنا نجد فيها شيئًا يلمس روحنا، ويزرع فينا الأمل والفرح والمعرفة.

«أنا لا أرى إلا لمن يستحق»

كانت هناك فتاة، ترتدي السواد الكامل من رأسها حتى أخمص قدميها،
حتى يداها كانت تُخفيهما بقفازات سوداء،
لا يُرى منها شيء... لا ملامح، لا لون، ولا حتى صوتٌ يُعلَن،
حتى أطلق عليها الناس اسمًا دون أن يعرفوا عنها شيئًا:
"ذات الغرب الأسود".
كانت تمشي بثبات، لا تتكلم، ولا تلتفت،
لكن بعض الناس سخروا منها،
قالوا: "ما هذا اللباس؟ أهي من العصر الحجري؟!"
قال آخرون: "لابد أن بها مرضًا تخفيه، أو لونًا تخجل منه!"
أطلقوا الظنون كما يشاؤون، دون أن يعلموا شيئًا من حقيقتها.
وذات يوم، التقت بفتاة في الشارع، لافتة للنظر بكل ما فيها،
عطرها يملأ المكان، وميكاجها غيّر ملامحها تمامًا،
كأنها خرجت من إعلان، لا من بيت!
اقتربت منها تلك الفتاة ونظرت إليها بشمئزاز قائلة:
"لماذا ترتدين هذا اللباس؟ وكأنك عتمة تمشي!
ما الذي تخفينه؟ أم أنك تضجرين من نفسك؟"
ابتسمت ذات الغرب الأسود وقالت بهدوء:
"بل أجد فيه راحتي... لا ضيق فيه، بل سكينة."
تفاجأت الفتاة من ردها، ثم قالت:
"هل بإمكانك أن تزوريني في البيت؟ والله لقد أثرتِ فضولي."
فقالت: "أكيد، بكل سرور."
وفي اليوم التالي، زارتها ذات الغرب الأسود،
جلست في بيتها، وبدأت تخلع قفازاتها ببطء،
والفتاة تراقبها بشغف وامتلأت بالظنون:
"هل يديها مشوهة؟ هل بشرتها سوداء؟ هل فيها مرض؟"
لكنها صُدمت...
كانت يدها بيضاء، نقية كالقمر،
ثم رفعت حجابها... فكان الجمال الصافي، الذي لا يُشترى،

لا ميكاج، لا زينة، لا ألوان، لكنها كانت تفتن!
سبحان من وهبها جمالًا فطريًا يأسر بلا جهد.
نظرت إليها الفتاة بدهشة وقالت:
"أأنتِ حقًا إنسانة؟! كأنك ملاك من نور!"
"لماذا تخفين كل هذا؟ لماذا تسمحين للناس بمناداتك ذات الغرب الأسود
وأنتِ عكس ذلك تمامًا؟"
فقالت بهدوء:
"لأني لا أريد أن يرى جمالي إلا من يستحق...
لا أريده يمر على عيون المارة، ثم يضيع.
أريد أن يراه الله ويُرضى، لا الناس ويُفتنوا.
ما نفع إعجاب الناس إذا كنتُ بين يدي الله غدًا وحدي؟"
ثم أضافت:
"هل تسمحين لي أن أنصحك؟"
فقالت الفتاة: "نعم، انصحيني."
قالت ذات الغرب الأسود:
"أمس رأيتك، بكامل زينتك، كأنك متجهة إلى حفل،
لكني حزنت عليكِ،
ليس لأنك جميلة، بل لأنك جعلتِ نفسك مشاعًا للناس...
كل عين أخذت منكِ جزءًا،
كل نفس ربما قُتنت،
كل رجل مرّ بكِ وقد ترك في قلبه أثرًا.
أتدرين أن العطر في الطرقات منهيّ عنه؟
أتدرين أن الله غيور؟
أتدرين أن الدنيا فانية، وأن كل زينة ستُرمى في التراب؟
كل موضة، كل صرعة، كل فتنة... كلها سراب!
سيأتي اليوم...
سيتوقف قلبك،
وسيُغلق قبرك،
وسيبكي من يحبك،

لكن لن ينفعك منهم أحد.
لن يبقى إلا عملك،
وستُسألين: ماذا فعلتِ بجمالك؟
أين وضعتِ عِطرك؟
من نظرتِ له؟
ومَن فُتن بكِ؟
فيا صديقتي... الجنة غالية،
احفظي نفسك،
تذكّري أنكِ حواء...
والرسول صلى الله عليه وسلم،
استوصى بكنّ خيرًا."

«صبر طفل، وقسوة أب»

كان عزّام في الحادية عشرة من عمره، طفلًا بملامح باهتة من شدة التعب ، لكنه يحمل في عينيه بريق صبرٍ أكبر من عمره.
يعيش مع أمّه وأخته الصغيرة، وأبٍ قاسٍ لا يعرف من الأبوة إلا اسمه. لم يكن يعمل شيئًا، فقط ينام طوال النهار، وحين يستيقظ يصرخ ويشتم، يطلب الطعام والفواكه كأنه سلطان، بينما زوجته المسكينة وابنه الصغير يستيقظان منذ الفجر، يبيعان البيض تحت شمسٍ لاهبة ليعودا في الظهيرة مثقلين بالعرق والتعب.

كانت أم عزّام مثالًا للصبر، تحتمي بابتسامتها الضعيفة كلما ضربها زوجها أو أهانها. أما عزّام، فقد عاش طفولة مسروقة، يكاد لا يعرف اللعب ولا الفرح، بل يعرف كيف يحمل سلّات البيض ويجادل الزبائن، ويخبئ دموعه خلف ابتسامةٍ شاحبة.

وفي أحد الأيام، استيقظ عزّام في السادسة صباحًا كعادته، لكنه لم يجد أمّه توقظه. اقترب منها، فإذا وجهها محموم، وجبينها يتصبب عرقًا. ناداها:
– "أمّي! أرجوك قومي، لا أحتمل رؤيتك هكذا... لنذهب إلى الطبيب."

فتحت عينيها بصعوبة وقالت بصوت متقطع:
– "يا بني... لا تقلق عليّ، أنا بخير... اذهب وبِع البيض، ولا تتأخر... لقد جهزت كل شيء."

خرج عزّام والدموع تغلي في صدره. كان يسير وهو يحدث نفسه: "إلى متى هذا الشقاء؟ لماذا نحن فقراء؟ لماذا أبي يعذبنا؟ يا رب، خذ عمري وأعطِ أمي العافية... لو أعرف كيف أحمل مرضها عن صدرها لا رتحت."

وبينما هو يبيع البيض، لفت نظره رجل مسنّ ينزل من سيارة فاخرة.

مهيب المنظر، أنيق الثياب، كأنه من عالم آخر. نظر إليه عزّام بحسرة وقال في قلبه:
"لو كان هذا أبي... ما جعل أمي تعمل، ولا عشت طفولة كالرماد!"

لكن الرجل اقترب منه وقال:
– "أأنت عزّام بن...؟"
– "نعم، أنا... من أنت؟"
– "أين والداك؟"
– "في البيت، لكن لِمَ تسأل؟"
– "لا تسأل كثيرًا، خذني إليهما."

قاد عزّام العجوز إلى البيت. فتحت أخته الصغيرة الباب وقالت بارتباك:
– "لماذا جلبت ضيفًا يا عزّام؟ ألا تعلم أنه ليس لدينا ما نطعمه؟ سيغضب أبي!"

تنهد العجوز وأحنى رأسه، وكأن جرحًا قديمًا انفتح في قلبه. دخلوا، فنادت الأم بصوت ضعيف:
– "من الطارق؟"
خرجت من غرفتها، وما إن رأت الرجل حتى تجمدت في مكانها، وانسكبت دموعها صامتة. قال العجوز:
"أما زلتِ تذكرينني؟ أين ابني؟"

شهق عزّام:
"ابنك؟! أأنت جدي؟"
قال العجوز وهو يفتح ذراعيه:
"نعم يا بني... أنا جدّك. تعالوا إلى حضني."

هرع عزّام وأخته إلى صدره يبكيان بحرقة، وكأنهما أخيرًا وجدا الأمان الذي افتقداه.

وفجأة خرج الأب غاضبًا من غرفته:
– "ما هذه الضجة؟ لماذا لا تدعونني أنام؟ من هذا الرجل؟!"
لكن صوته اختنق حين وقع بصره على الشيخ. ارتجفت شفتاه:
– "أب-... أبي؟!"

اقترب العجوز وقال بصرامة ودموعه تتلألأ:
– "نعم، أنا أبوك! أهذا حالك؟ زوجةٌ مظلومة، وأطفال يتامى وأنت على قيد الحياة؟! هكذا ردّيت جميلنا؟ دعوتُ عليك أنا وأمك يوم عققتنا وهربت، وها قد رأيتَ عاقبة عقوقك. لكني لم آتِ لأشمت بك، بل جئت لأ صلح ما أفسدته. تعال، فباب التوبة لم يُغلق بعد."

جثا الأب على ركبتيه، والدموع تنهمر من عينيه، وقال:
– "سامحني يا أبي... سامحيني يا زوجتي... يا أولادي، ظلمتكم كثيرًا."

في تلك اللحظة، عمّ البيت نور لم يعرفوه من قبل؛ دموع الغفران اختلطت بدموع الفرح، واحتضن الجد أحفاده قائلًا:
– "لن تعرفوا الفقر بعد اليوم، سأعوضكم عمّا فات. لكن تذكروا: عقوق الوالدين يطفئ البركة، ويحوّل النعمة نقمة."

ابتسم عزّام لأول مرة من قلبه، وأمه إلى جواره، وقد أحسّت أن صبرها الطويل لم يذهب هباءً.

العِبرة:

القسوة قد تميت القلوب، لكن التوبة تحييها من جديد.
والدعاء الصادق من الوالدين مستجاب، فليحذر كل عاقٍ من ساعة الغضب.
والصبر مفتاح للفرج، مهما طال ليله.

# «أماني في بلاد العجائب»

استيقظتُ فإذا بي في قصرٍ واسعٍ تتلألأ جدرانه تحت شعاع الشمس المتسلّل إلى عيني. كنتُ مأخوذةً بالدهشة من جمال المشهد، وكأنني أعيش لوحة فنية معلّقة بين السماء والأرض. خرجت من الغرفة بخطواتٍ مترددة، وكل زاوية من القصر تزيدني انبهارًا.

تدحرجت ضاحكة على السور الممتد بجوار الدرج، حتى وصلت عند باب القصر العظيم. وما إن نظرتُ إليه حتى انفتح بهدوء، كأنّه يعرفني منذ زمن. خرجت، فإذا بعطر التوليب يسبقني من حديقةٍ غنّاء، امتلأت بكل ألوانه وأشكاله التي طالما حلمت بها. كنت أضحك بصوتٍ صافٍ، تتردّد أصداؤه بين الأشجار والزهور، حتى شعرت أن الفرح يطير بي.

وبينما أتأمّل الزهور، لفتت انتباهي وردة توليب ضخمة تهتز بخفة، ثم م الت نحوي قائلة:
"يا أماني، كيف لوردةٍ أن تحب وردة؟"
أربكني السؤال، واحمرّت وجنتاي خجلًا، فابتسمت الوردة العظيمة وأخفضت قامتها نحوي:
"اقتربي، تعالي إلي."
صعدتُ فوقها، وامتلأ قلبي سعادة، ثم همست لها: "كم أحبكِ أيتها التوليب."

وبينما نحن نتحدث، ظهرت فراشة زرقاء بأجنحة واسعة كأنها قطعة من السماء، قالت لي برقة:
"مرحبًا أيتها الفتاة الجميلة، هل ترغبين أن أحملك لأحلق بكِ فوق الغيوم ؟"
لمعت عيناي بفرح طفولي، وقلت بشوق: "أجل... أجل يا فراشتي، خذيني عاليًا."

جلستُ على أجنحتها، فارتفعت بي فوق السحاب. كنت أرى الغيوم

تتصادم بخفة، ثم تتعانق من جديد، منظرٌ يبهج القلب. سألتني الفراشة:
"ما رأيك بجمالها؟"
أجبتها: "إنها تسرُ روحي وتبهجني."
ابتسمت وقالت: "هيا نعود إلى أصدقائي."

عدنا إلى حيث القصر، حيث تجمّعت فراشات كثيرة بألوانٍ وأحجامٍ مختلفة، كأنها مهرجان من الضوء والحرير. نزلت، وإذا بأرنب لطيف يعترض طريقي. قلت له:
"مرحبًا أيها الأرنب، عمّ تبحث؟"
أجابني وهو يشم الأرض: "عن الجزر اللذيذ."
جلست قربه وسألته: "وكيف تفرّق بين الجزر الطيب وغيره؟"
ابتسم وقال: "أنا أبحث كما يبحث البشر عن الأشياء التي يحبونها، فإن وجدوها تمسّكوا بها، وإن لم تعجبهم تركوها ومضوا إلى غيرها، حتى يلتقوا بما يسعد قلوبهم... ولو طال الزمن، لا نيأس من البحث."
ثم نظر إليّ بحنان وسأل: "هل تودّين الذهاب إلى الغابة الكبيرة، أم تفضلين العودة إلى القصر لتخرجي من حلمك هذا؟"
تأملت المكان قليلًا، ثم قلت له بثبات:
"لا... أريد أن أستمر في حلمي، ففيه راحة لقلبي. هيا بنا نذهب ونكتشف الأعاجيب."

« أنا لست غريبًا يا أمي»

في عالمٍ موازٍ، حيث الكتب تتحدث، وتكتب الرياح فوق الماء، كانت مدينة "آرون" تُحيط بها أسوار من الضباب، لا يُسمح بدخولها إلا لمن ضاع منهم كل شيء. في طرفها، قرية صغيرة اسمها "سِراي"، لا تُذكر على أي خريطة، يسكنها الصمت، وتتنفس الأحزان.

في كوخٍ خشبي لا يكاد يُرى، عاشت "إيلين"، فتاة يتيمة الأب، تبيع الأ عشاب والورد البري. كانت فقيرة، نعم، لكنها تملك شيئًا لم يكن يملكه أحد في القرية: قلبًا نقيًا، وعينين تلمعان كلما رأت الحزن.

وذات مساء شتائي، تسللت الحمى إلى جسدها، وصارت تتكلم بلغة لا يعرفها أحد. ظنت أمها أن الموت قريب، فركضت تصرخ في الأزقة، تبحث عن طبيب... لكن لا أحد جاء. فالقرية منسية، لا تدخلها العربات ولا يسمع أحد نداءها.

وبينما كانت الريح تهمس في الأشجار، ظهر فتى غريب على أطراف القرية. كان يحمل ريشة ذهبية تتوهج كلما اقترب من الحزن. اسمه "ريشان"، جاء من بلاد الأندلس البعيدة، يبحث عن أمه التي اختفت ذات مساء في ظروف غامضة، تاركة له قصاصة تقول:
"ستجدني في مكان لا يعرفه الزمان."

رأت الأم الفتى، وركضت إليه باكية.
قال: "أبحث عن أمّي."
قالت: "وأنا أبحث عمّن ينقذ ابنتي."

نظر ريشان إلى السماء، ثم إلى الريشة في يده، التي بدأت تضيء بشدة...
قال: "هذه ليست مصادفة."
أخرج كيسًا صغيرًا من قماش أخضر، وأعطاها ما فيه من نقود نادرة، لم يُرَ مثلها من قبل.

في نفس الليلة، حضر الطبيب. شُفيت إيلين.
لكن ما حدث بعد ذلك لم يكن متوقعًا...

حين استيقظت إيلين، نادت ريشان باسمه دون أن يُعرّف نفسه.
قالت له: "أعرفك... رأيتك في أحلامي منذ كنت صغيرة."
وانهمرت الدموع من عيني الأم، إذ رأت على عنق ريشان تميمة كانت قد علقتها لابنها الذي خُطف منذ سنوات...

ريشان لم يكن غريبًا. لقد كان ابنها الضائع.
وإيلين لم تكن إلا أخته التوأم التي نُسيت الحقيقة عنها.

وكانت الدهشة:
في هذا العالم الموازي، عندما تساعد شخصًا غريبًا... قد تُعيد نفسك التي فُقدت منك قبل أن تولد.

«بوح من جزيرة لا تُرى"»

من جزيرة "أريمان  حيث لا يصل أحد
لا أعرف من سيقرأ كلماتي، ولا متى... كل ما أعرفه أنني سأربط هذه الرسالة في جناح "ساري"، الطائر الذي أصبح رفيقي الوحيد، وسأطلقه نحو المجهول... نحو زمانكم.

أنا أعيش في جزيرة تُدعى "أريمان"، جزيرة لا توجد على خريطة، ولا يجرؤ الزمن على النطق باسمها. لا إشارات، لا أبراج، لا كلمات سرّ ولا رموز دخول. نعيش كما لو أن العالم انتهى منذ زمن، وابتدأنا نحن من جديد.

هنا، لا شيء سوى ضوء القمر...
ضوءه يُغمرني كل ليلة، كأنّه حضن أمّ كونية، دافئ وحنون. حول نار صغيرة، نجتمع – عشرون روحًا – نضحك، نروي حكايات، نأكل من خيرات الأرض: الأعشاب، الثمار، واللحوم التي نصطادها بأيدينا. لا يوجد فينا غريب، ولا نترك أحدنا يُضيق قلبه في الظل... من يحزن، نُسرع إليه. من يبكي، نحمله على ضوء ضحكاتنا حتى يبتسم.

نحن لسنا مثلكم.
أنتم تعيشون خلف زجاجٍ بارد... تتواصلون بلا أن تلمسوا، تضحكون من رموز، تبكون في صمت خفي. صارت أجهزتكم آلهتكم، وهجركم دفء الجمعات، وسُرقت منكم العيون التي تنظر بحب، والأيدي التي تمتد بعفوية. التكنولوجيا التي صنعت مجدكم، سرقت منكم قلوبكم.

أما نحن... فقد أنقذنا أنفسنا منكم.
لا نملك شيئًا من "حضارتكم"، لكننا نملك أنفسنا. نحن سعداء... سعداء بشكل لا يُوصف، وكأننا نتنفس حياةً لم تلمسوها أنتم قط.

لا تأتوا إلينا. لا تبحثوا عن أريمان.
لسنا أسطور.ة، ولسنا وهماً... لكننا اخترنا أن نعيش بعيدًا، نقيًا، كما يجب

أن يعيش الإنسان.

المرسلة: مجهولة من جزيرة أريمان
والرسالة... معلقة في جناح "ساري"، طائر لا يعرف طريق العودة.

« البيوت تُبنى بالحب لا بالحجر»

في أقصى الجنوب، حيث لا ضجيج للمدن،
وحيث الشمس تنسلّ خيوطها الذهبية برفقٍ فوق رؤوس الجبال،
تقع قرية صغيرة...
قرية لا تعرف البهرجة، لكنّها تعرف الحب.
هناك، كانت سماءٌ زرقاء كالحلم،
تعكس لون البحر البعيد،
وكانت العصافير ترسل ألحانها في الصباح،
كما لو أنها ترقص فرحًا بالحياة.
الطرقات تُزينها أزهار برية متفرقة،
والهواء... نقيّ لدرجة تشعر معها أن روحك غُسلت للتو.
وفي ركن من أركان هذه القرية،
كوخ خشبي صغير، بسيط، لكنه دافئ كالحضن.
يسكنه رجلٌ وامرأة،
وخمسة أطفال يشبهون الأمل حين يركض بين العشب.. يارين، أريفان،
ريتان، جان، وجاد.
خمسة أرواح بريئة،
تربّت على يد أم عظيمة،
تحمل قلبًا واسعًا كالسحاب،
تزرع القيم كما يزرع زوجها الزرع.
أما الأب...
فهو فجرٌ آخر في حياتهم، يستيقظ مع أول نداء،
يمسك فأسه، ويمضي إلى الحقل ليزرع الحياة،
وبينما يفلح الأرض... يزرع في طرفها وردة توليب،
لأنه يعلم أنها تُفرح قلب زوجته.. وفي كل يوم، يحمل لها وردة.. وذات صباح، سألته زوجته بلطف: "لماذا تهديني وردة كل يوم؟ وهي تذبل سريعًا؟"

ابتسم الرجل، ومسح جبينه بكمّه، ثم قال:
"لأني أراكِ تذبلين كل يوم،
من أجلنا. لكنني أراكِ تزهرين كلما نظرتِ إليّ بابتسامة.
الوردة ليست هدية، بل اعتراف...أنكِ أجمل ما في هذا اليوم،
وأنني أحبك حتى حين تذبلين.". فأطرقت رأسها خجلًا،
ثم قالت:
"الحمد لله الذي وهبني قلبًا يحبني كل صباح،
ويجعلني أزهَرُ من جديد." وذات يوم، سافرت يارين مع والديها إلى
المدينة،
إلى بيت عمها، حيث الجدران عالية، والأرضيات لامعة، والمساحات
واسعة حد الغرابة. نظرت يارين حولها بدهشة،
وقالت بصوت يشبه الهمس: "ما هذا؟ إنه قصر من الخيال!"
استقبلهم عمّها بلطف،
وزوجته بتحفّظ، أما ابنتاه رينيجا وماشكان،
فكانتا في عالم آخر... عالمٍ مزيّف. رينيجا كانت مغرورة، ملابسها فاخرة،
عينها تزن الناس بالمظهر، لا بالروح.
حين رأت يارين، نظرت إلى ثوبها البسيط وقالت ساخرة: "هل هذه ملا
بسكِ؟ يا لكِ من ريفية!"
ثم قالت بابتسامة باردة:
"تعالي، سأريكِ البيت... ولكن لا تظني أنه كوخكم."
وأشارت إلى كلبهم وقالت:
"هذا جيكار، أغلى من كل أثاث بيتكم."
كلماتها كانت سهامًا في قلب يارين،
لكنها رفعت رأسها وقالت بابتسامة صادقة:
"غرفتكم أكبر من بيتنا، نعم،
لكن بيتنا فيه شيء لن تجديه هنا...
الحب، الدفء، والضحك بصوتٍ واحد."
عادت يارين إلى الكوخ،
وكان صدرها ممتلئًا بما رأت وما شعرت، فجلست بين والديها،

وأخبرتهما ما حدث.
ابتسم والدها وقال:
"يا بنيّتي، قد تكون الجدران من ذهب،
لكنها لا تعني شيئًا إن كانت القلوب باردة.
بيتهم كبير... لكن قلوبهم متباعدة.
كل منهم في غرفة، لا يجتمعون إلا للطعام."
وقالت أمها:
"أما كوخنا الصغير، ففيه قلبٌ واحد، نصحو على صوت العصافير،
ونضحك معًا، ونتشارك حتى الصمت."
ثم قال والدها بلطف:
"تذكّري دائمًا يا صغيرتي، الناس أسرار، والمظاهر خدّاعة، فلا تبهرك الزينة
، إن لم يكن وراءها دفء العائلة، وصدق القلوب.
كوني قنوعة، فالقناعة غنى،
وما وهبنا الله، فيه كل الخير."

« البيت الذي سلب قلبي... ثم كسر روحي»

كانت لأمي صديقة ثرية...
ثرية حدّ الدهشة، حدّ الترف الذي يُذهل عين الطفلة التي كنتها.
كانت أمي تزورها أحيانًا، وكنت أرافقها وأنا أخفي في قلبي شوقًا لا يُوصف لتلك الزيارة،
لذلك البيت... الذي لم يكن في عيني مجرد بيت.
كان في نظري قصرًا من حكايات الخيال.

كل مرة أذهب، كانت أنظاري تلتهم المكان:
ثريات تلمع كالنجوم، أرائك فاخرة، نوافذ تعانق السماء،
وحديقة... يا الله، ما أجمل تلك الحديقة!
كأن الله أودع فيها روائح الجنة...
زهور من كل لون، عطرها يملأ القلب قبل الأنف.

وكنت أتمنى...
أتمنى لو نعيش هناك، أنا وأمي وأبي.
أتخيل غرفتي، أركض في تلك الحديقة،
وأركب إحدى تلك السيارات المتراصة في الفناء وكأني أميرة.
وذات يوم، قلت لأمي بحرقة طفولية:
— "هيا نذهب إلى بيت صديقتك، أريد أن أرى الورد، أن ألعب، أن أعيش هناك..."
ابتسمت أمي بحنان، وقالت:
— "غدًا يا ابنتي، نذهب غدًا."
لكنني بكيت، وتوسلتها كأني على وشك أن أفقد شيئًا ثمينًا:
— "لا، أريد الآن... أريد البيت، الحديقة، السيارة... أريد أن أعيش هناك."
نظرت إلي أمي نظرة غريبة، حزينة، ثم همست:
"يا ابنتي... لو تعلمين ما خلف ذلك البيت،
لو رأيتِ الوجه الآخر من الحكاية،
لكرهتِ حتى النظر إليه.

سترين، حين تكبرين... ستفهمين."
مرّت الأيام... وجاء اليوم.
قالت أمي إنها ذاهبة لزيارة صديقتها.
تعلّق قلبي بالفرح، وركضت خلفها، خطواتي تسبقني،
كأن البيت قد ينفلت من بين يديّ إن لم أصل إليه سريعًا.
دخلنا من البوابة الحديدية الكبيرة،
الورود ترحّب بي بعطرها، وأنا أتنفس الجمال كأنني أتنفس الحلم...
لكن فجأة...
اخترق أذني صوت صراخ.
لم يكن صراخًا عاديًا...
كان كأن بركانًا قد انفجر في قلب البيت.
تسللت خطواتي بخوف، وقلبي يدقّ بعنف.
رأيت الباب مفتوحًا...
وهناك، في الداخل...
رجل كبير يصرخ، يضرب صديقة أمي بعنف، وهي تبكي، تتوسل:
"لا تضربني... أرجوك... ارحمني."
تجمّدت.
عقلي الطفولي لم يفهم ما يجري، لكن قلبي فهم الخوف،
فهم الإهانة، فهم أن هذا القصر ليس كما كنت أراه
وصلت أمي، ركضت إليها، وصرخت في وجه الرجل:
— "خاف الله فيها، فهي أمانة،
الرجل الذي يضرب امرأة... ليس برجل،
والمرأة التي تُهان في بيت رجل، إنما تعيش مع رجل بلا نخوة!"
وقف الرجل، ونظر إلينا بعينين تشتعلان غضبًا... ثم مضى.
واحتضنت أمي صديقتها التي انهارت بالبكاء،
تصرخ كلمات لا تُنسى:
"تعبت... هذا البيت يقتلني من الداخل.
كبير... لكنه بارد.
فاخر... لكنه لا يمنح أمانًا.

تمنيت الموت... فقط لأرتاح."
تجمدت دموعي على خدي، وأنا أسمع صدى الألم،
ذلك الألم الذي لم يكن ليظهر في الصور، ولا في الثريات، ولا في الحديقة.
نظرت إلي أمي، ودموعها تلمع:
— "أتُحبين هذا البيت؟"
نظرت إليه... بعيون تغيّرت،
قلت لها بصوت مكسور:
"لا يا أمي... لا أريده.
أريد بيتنا الصغير...
أريد حب أبي، ودفء حضنكِ...
أريد بيتًا يسكنني، لا بيتًا أضيع فيه."

« الأخت لا تنتظر مال أخيها بل قلبه»

بينما كنتُ أسير في طريقٍ أعرفه، معتادٌ على خطاي، غير معتادٍ على الدهشة،
لمحتُ فتاة في العشرين من عمرها، جالسةً على الرصيف، متكوّرةً على نفسها كأنها تحاول الاحتماء من شيءٍ لا يُرى،
كانت تبكي وبكاؤها لم يكن عاديًا، بل كأن قلبها ينزف، وضميري لم يسعفني على التجاهل.
اقتربتُ منها، وقلتُ بلطف:
مرحبًا.
رفعت رأسها ونظرت إليّ،
فوقفتُ أمام عيونٍ حمراء من كثرة البكاء،
وأيادٍ مرتجفة، وجسدٍ هزيل يصرخ بالحاجة. وجعني قلبي، فحضنتها دون أن تطلب، وكأنّ شيئًا في داخلي أراد أن يحتويها،
وسمعتُ شهقاتها تخترق صدري،
وحين ردّت الحضن، شعرت أنها لم تجد في عمرها من يحتضنها،
وكأنّها كانت تبحث عن حضنٍ تسند عليه تعب قلبها المُثقل.
قلت لها: ابكي. نعم، هكذا قلت، لم أطلب منها أن تتوقف،
بل شجّعتها أن تُخرج حزنها، أن تترك دموعها تتكلم. وحين هدأت، قلتُ بلطف: أخبريني، ما بك؟ قالت بصوتٍ منكسر: أيتها العابرة، أنا لا أقوى بعد... عندي هموم تهدّ الجبال. ليس لي أمّ، ولا أب، ولا أخت، فقط خمسة إخوة، وكلٌ منهم مشغولٌ بحياته.
أنا متزوجة، ولي ثلاث بنات وولد.
وزوجي يعمل، ولكن بالكاد يأتي بقوت اليوم،
وطفلي الوحيد مريض، ويحتاج علاجًا لا أملك ثمنه. طرقتُ كل الأبواب، ولم يُفتح لي باب.
سألتها بدهشة: قلتِ لديك خمسة إخوة، لمَ لا تطلبين المساعدة منهم؟
أجابت: لا أجرؤ أخاف أن يرفضوني،
أن يضيفوا لتعب قلبي تعبًا آخر.
إنهم لا يسألون عني، ولا عن أحوالي.
قلتُ لها بمرارة: إذا لم يسأل القريب، فكيف نسأل من الغريب أن يهتم؟

بكت كأن المطر انسكب من عينيها، وقالت:
لا أعلم ماذا أفعل أريد من يُنقذني. حضنتها، وصمتُ،
وغصتُ في أفكاري
هل هذا هو الأخ الذي قال الله عنه: "سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ"؟
هل يُعقل أن يوجد أخٌ لا يسأل عن أخته؟
أليس الأخ سندًا؟
حتى إن لم يملك شيئًا، يكفيه أن يُربّت على الكتف، أن يقول كلمة تُحيي بها القلوب؟
الأخ هو الجبل حين تهتزّ الأرض من تحت أقدامنا.
إن ضربها زوجها، أين تذهب؟
إن صرخ في وجهها، أين تحتمي؟
إن لم يسأل عنها وهي في خير،
هل سيفكّر بها وهي في شقاء؟
الأخت لا تريد مالًا،
بل كلمة، سؤال، احتواء تريد أن تفتخر بأخيها،
أن تقول: إذا لم يُعزّني بيت زوجي، فبيت أخي أعزّ. تريد أن ترى في أخيها رجلًا لا تهزّه الرياح.
تريد أن تراه كما قال تعالى: "هُنّ رحمٌ، وأنا الرحمن، شققتُ لهنّ اسمًا من اسمي، فمن وصلها وصلتُه، ومن قطعها قطعتُه".
وإن لم تسأل عن أختك،
فمن ستسأل؟
الأخت لا تتبدل، ولا تُعوّض،
فكُن أخًا تكون عزًّا في انكسارها، وسندًا في سقوطها. ربتُ على كتفها وقلت:
لعله خير، يا صديقتي.
سيأتي يوم يُردّ فيه الحق،
وستدور الدنيا،
وسيعطي الله كلّ إنسانٍ ما يستحق...
فالله لا يظلم أحدًا.

«براءة تسأل: ما في الجنة؟»

كنتُ أراجع دروسي على وقع أصوات أطفال الحي، صياحهم يملأ المكان، وإذا بأحدهم يشتم الآخر ويلعنه. اجتاحني الغضب، لكنني لم أصرخ، بل دعوتهم قائلة: "اسمعوا جيدًا يا فتيات، يا أولاد.

سكتوا، والعيون الصغيرة تتطلّع إليّ بفضول. ابتسمت وسألتهم: من يريد التفاح والرمان والعنب والخوخ؟

صرخوا جميعًا: أنا، أنا! حتى اضطررت أن أضع أصابعي على أذني من شدّة أصواتهم. فقلت:

اهدؤوا قليلًا يا أطفال.

فصمتوا، وأردفت: أتعلمون أن هناك جنة ونار؟ نحن في هذه الدنيا مثل الضيوف، ومهما طال بنا المقام، سنغادر يومًا ونقف بين يدي الله.

بدأت أحكي لهم عن الجنة:

لا بكاء، لا حزن، لا نوم ولا دراسة، لا تعب ولا إرهاق... فقط ثمرات، أنهار، ولعب، وسيارات وطائرات وأحلام تتحقق.

ابتسم أحدهم وقال:إذن هناك برتقال؟

قلت: "نعم، هناك كل ما تحب."

وأضاف آخر: "وهناك لاعب كرة؟"

قلت: "بالطبع.

ثم سألتني طفلة بفضول: وما في النار؟

فأجبتهم: "عذاب شديد، ألوان تتغيّر من الأصفر إلى الأسود والأحمر... مكان لا يُطاق.

فقال أحدهم مرتجفًا: "لا أريد النار، أريد الجنة.

ابتسمت وقلت: "الجنة غالية يا أحبتي، ولن ندخلها إلا إذا فعلنا ما يحب الله، وابتعدنا عمّا يغضبه."

سألوا: "وما يحب الله؟"

فقلت: "الصلاة، الصيام، برّ الوالدين، الزكاة، مساعدة المساكين، مسح رأس اليتيم..."

وشرحت لهم معنى كل كلمة.

ثم سألتهم: "وما يغضب الله؟"

فقلت: "ترك الصلاة، عقوق الوالدين، الاستهزاء بالفقراء، ظلم اليتيم... وأيضًا السبّ واللعن."
تأملوا كلامي، ثم قال أحدهم ببراءة: "إذا جاء العذاب سأختبئ تحت الدرج."
ضحكت وقلت في قلبي: "الأمر ليس بهذه السهولة يا أميري الصغير."
فابتسم الطفل وقال: "لماذا تبتسمين؟"
قلت له: "لأن هناك خطة أفضل: اترك الشتم واللعن، والله سيدخلك الجنة."
فقال دامع العينين: "ولكني لعنت، هل يغفر لي الله؟"
أجبته: "هل ندمت الآن؟"
قال بحزم: "طبعًا، لن ألعن أبدًا."
ابتسمت وربتُ على كتفه: "غفر الله لك، إن الله يحب التائبين."
وما كان منه إلا أن اندفع يعانقني بشدّة حتى كاد يخنق أنفاسي، وهمس: "أحبكِ يا أماني"
فهمست في نفسي وأنا أنظر إلى قلبه الصغير:
"ليت الكبار يتوبون بصدق مثل هذا الطفل، وليتهم يعلمون أن الدنيا فانية ، وأن طريق الجنة يبدأ من كلمة طيبة

«من رحم السخرية وُلد الأمل»

كانت الليلة ساكنة، والسماء تطرّزها نجوم متناثرة كحبات لؤلؤ في بحرٍ أسود عميق. اجتمعنا في غرفتي الصغيرة، أربعة أصدقاء جمعتنا الأحلام كما جمعتنا الأيام. الغرفة كانت مضاءة بمصباح خافت يتدلّى من السقف، يرقص ضوؤه مع أنفاسنا الثقيلة، وكأن المكان يستمع إلينا ويشاركنا همومنا.

جلسنا متقابلين، كلٌ يلوذ بصمته تارةً وبكلماته تارةً أخرى. لحظات الصمت كانت أبلغ من أي حديث، ثم قطعها صوت صديقي الأول وهو يضع كفيه على وجهه، وقال بانكسارٍ يخفي خلفه سنوات من التعب:
"أحلم أن أكون طبيبًا... أن أمدّ يدي للناس فأمنحهم شفاءً ورحمة. حلمي طويل، وكم حاولت، لكنني سئمت من الطريق، ضاقت بي نفسي، ولا أدري كيف أصل."

ضحك الثاني، ضحكةً مجروحة باليأس، وقال بسخرية باردة:
"طبيب؟! بالله عليك، وفّر على نفسك الوهم... ستفشل مهما حاولت، ولا طاقة لك بهذا."

وزاد الثالث ضحكه وهو يلوّح بيده مستهزئًا:
"بل ستظل تركض وراء سرابك! الأحلام العظيمة للكبار، أما أمثالك فلن يبلغوها."

كانت كلماتهم كسكاكين تمزّق قلب الحالم، وصدى سخريتهم أشد وقعًا من ثِقل الواقع نفسه. شعرت أنّ الحلم يوشك أن يُدفن حيًّا بين ضحكاتهم، لكنني لم أحتمل، فالتفتُّ إليهم، وصوتي يتفجّر غضبًا ويقينًا:

"كفى! إنكم لا ترون إلا عجزكم فأسقطتموه عليه. أتعلمون؟ الحلم لا يقتله التعب، بل تقتله السخرية واليأس. ما الفرق بينه وبينكم؟ عقلٌ كعقولكم، قلبٌ كقلوبكم... لكن الفارق أن روحه تؤمن بالله، وأنتم جعلتم من الإ حباط وطنًا تقيمون فيه!"

ساد الصمت، وواصلتُ حديثي ونبرتي تزداد رسوخًا:
"الحياة مليئة بالعقبات، وهذا طبيعي، لكنها ليست نهاية. بل هي امتحان يميز من يستسلم ومن يولد من جديد. أتدرون ما السر؟ السر أن تتوكل على الله، أن تثق أن الخطوة التي تبدأ بها اليوم قد تكون بداية الفرج غدًا.
إن تعبتم فلتتذكروا أن الله أقرب إليكم من حبل الوريد. إن خذلكم الناس، فهو لا ينسى عباده. ألم تسمعوا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾؟"
كنت أرى ملامحهم تتبدل شيئًا فشيئًا، وكأن شيئًا ما تحرّك في أعماقهم.
قال الأول، الذي كان على وشك الاستسلام، وعيناه تلمعان بدمعة وأمل جديد:
"أشكرك... لقد أيقظتني. لن أستسلم بعد اليوم. سأحاول مرارًا حتى أصل. نعم، قد أفشل مرة، لكنني سأقوم ألف مرة حتى أنجح. أنا قوي بالله، ولن يخذلني."
أما الثاني، الذي كان أول الساخرين، فقد خفض رأسه بخجل وقال:
"ظننتُ أن السخرية ذكاء... فإذا بي أكتشف أنها ضعفٌ وجبن."
والثالث، الذي تمسخر بأشدّ العبارات، التفت إليّ بنظرةٍ منكسرة، ثم قال بصوت خافت كأنه اعتراف:
"أنا حلمي... ثم لا أحد."
وهكذا، في تلك الغرفة الضيقة التي بدأت باليأس والسخرية، وُلد الأمل من رحم الجرح... وانطفأت الضحكات الفارغة، لتشتعل في القلوب نار العزيمة والإصرار.
العِبرة
تعلمتُ في تلك الليلة أن السخرية قد تقتل حلمًا بريئًا لو لم يجد قلبًا يحميه، وأن كلمة أمل واحدة قد تُعيد إنسانًا من حافة الانكسار.
تعلّمت أن العزيمة لا تُستمدّ من تصفيق الناس ولا من رضاهم، بل من ثقةٍ صادقة بالله. ومن أيقن أن الله معه، فلن تقوى عليه سخرية ساخر، ولن يهزمه يأس مثبّط.

# «حين تعرفت حواء على نفسها»

في شارع مزدحم بالوجوه، حيث تتلاحم الأصوات والضوضاء، كان هناك زاوية هادئة يبدو أنها ثسيت عن العالم، زاوية مظللة بين جدران رمادية متعبة. هناك، جلست فتاة بمفردها، كأنها غريبة عن المكان وعن نفسها، ويدها تحجب جزءًا من وجهها، فيما عينيها تروي قصصًا لم تُسمع بعد. كان قلبها مثقلا ً بالهموم، وعمرها في الزهور، لكن ملامحها تحمل وجعًا أكبر من سنينها.

مررتُ بجانبها لأول مرة، ثم شعرتُ بدافع غريب للجلوس قربها، وكأن شيئًا في صمتها نادى قلبي للانتباه. جلستُ ووضعتُ كفّي على ركبتيّ، ثم نظرت إليها بعينين ملؤهما الفضول والدهشة، وسألتها بصوت هادئ:
ـ ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟ ما الذي أثقل قلبكِ حتى نادى بالانكسار؟

رفعت رأسها ببطء، وكانت عيناها كبحر هادئ يخفي عاصفة بداخله، ثم فتحت كفيها كما لو كانت تبوح بسر دفين، وقالت بصوت مخنوق:
ـ أكره نفسي... لا لأني ضعيفة، بل لأني أنثى.

توقف الزمن للحظة في داخلي. ارتجفت من وقع كلماتها، دهشت من حزنها، وأحسست بأنني أمام قصة تحتاج إلى نور، إلى من يذكّرها بمن تكون. قلت لها بهدوء:
ـ بل لأنك لم تعرفي نفسك بعد... أتدرين مَن أنتِ؟

تنهدت بصوت خافت، وابتسامة صغيرة حاولت الظهور لكنها لم تكتمل، وقالت:
ـ اعتدتُ أن يُشيروا إليّ بالنقص، أن يعيبوني لأنني أنثى...

ابتسمتُ لها بحنان وقلتُ:
ـ لا، أنتِ الكمال الذي أودعه الله في هذا الخلق. ألم تسمعي أن آدم عليه السلام، حين سكن الجنة استوحش وحده؟ فأخذ الله من ضلعه قطعة قريبة من قلبه، فخلق منها حواء لتؤنسه... أنتِ يا صديقتي تلك السلوى.

ارتعشت نظراتها، وكأن كلمات بسيطة تحمل ثقلًا أكبر من الجبال، فتابعتُ بصوت ملؤه الحزم والحنان معًا:

ـ أنتِ الأم التي جعل الله الجنة تحت قدميها، والزوجة التي لا يُكرم الرجل حتى يكرمها، والبنت التي جعل حجاب أبيها وقاية له من النار، والأخت التي صلة رحمها عبادة. أنتِ من تصنع الرجال وتُخرِج الأجيال. فيكِ الحنان، وفيكِ نزيف العطف الكبير. كل رجل عظيم في هذه الدنيا كان يومًا جنينًا في بطنك، يأكل من طعامك ويشرب من لبنك، ويهدهده قلبك.

أطرقت الفتاة لحظة، كأنها تستعيد أنفاسها، وعينيها بدأت تلمع ببريق جديد. قلتُ لها:

ـ جمالك وزينك وبهاؤك، كلها هدايا عابرة، لكنكِ أعمق من ذلك بكثير. أنتِ لستِ ضعفًا يُستصغر، ولا عجزًا يُشفق عليه. بل أنتِ صنعة الله العظيمة، فارسة الحياة، وروح الأمل.

نظرت إليّ ببطء، والدمعة ما زالت تسكن طرف عينها، ثم قالت بصوت متردد لكنه واثق:

ـ نعم... أنا حواء.

ابتسمت ابتسامة عميقة، وكأن عبء سنين من الحزن تلاشى من قلبها. نهضت من مكانها، وكتفها ارتفع، ونظرتها استقامت، وكأنها الآن تحمل قوة العالم كله في قلبها. لم تعد الفتاة نفسها؛ لقد أصبحت امرأة تعرف قيمتها، تتألق بالأمل، وتمشي بخطوات ملؤها الثقة.

العبرة:

لا تدعِ كلمات الناس تكسر قلبك. الله خلقكِ عزًا لا ضعفًا، وكرامة لا هوانًا. كل أنثى هي حكاية قوة. إن عرفتها أزهرت، وإن صدّقت ضعفها انكسرت. أنتِ حواء، أنتِ الحياة، وأنتِ السلوى لكل قلب بحاجة للحب والحنان.

# «حين يملأ الحب البيت»

في أعماق الجبال البعيدة، حيث لا تصل ضوضاء المدن ولا يعكر هدوء الطبيعة صخب البشر، كان هناك وادٍ صغير يحتضن بيتًا متواضعًا من الطين والخشب. يحيط به بساطٌ أخضر من الأعشاب، وأشجارٌ باسقة تتمايل مع الرياح، ويغنيه جدول ماء رقراق ينساب بين الصخور كأنفاسٍ هادئة في صدر الأرض. في الصباحات، تغرد العصافير فتملأ المكان أنغامًا صافية، وفي الليالي الباردة يكتسي الجو صمتًا مهيبًا لا يقطعه سوى حفيف الأغصان وموقد النار المتقد في ركن البيت.

في ذلك البيت الصغير عاشت أسرة بسيطة: أبٌ مكافح، وأمّ حنون، وطف لاهما "مان" و"مايا". لم يكن لديهم من زخارف الدنيا الكثير، لكن قلوبهم امتلأت بما هو أثمن: الرضا والسكينة. كانت الأم تغمر بيتها بدفء ابتسامتها ورائحة الخبز الطازج، أما الأب فكان رجلا ً صلبًا، تكسوه ملا مح الجدّ والكفاح. يخرج قبل الفجر للعمل في الغابة، يعود مع الغروب مثقلا ً بالجهد، لكنه يعود بقلبٍ مليء بالحب لبيته وأسرته.

وفي أحد أيام الشتاء، عاد الأب مع غروب الشمس، يعلو وجهه التعب وتثقل خطواته من أثر العمل. طرق الباب، فما كان من الصغيرين إلا أن ركضا نحوه هاتفين بفرح:
– لقد عاد أبي! لقد عاد أبي!
ألقيا نفسيهما بين ذراعيه، فاحتضنهما بكل ما تبقى فيه من قوة، وقال في نفسه: سأبقى قويًا مهما أنهكتني الأيام، لأجل هذه الأرواح الصغيرة التي أعيش لها.

اقتربت منه زوجته، نظرت في عينيه، وقرأت على وجهه ما حاول أن يخفيه بابتسامةٍ متصنّعة. فقالت برفقٍ وحنان:
– ما بالك يا رجل قلبي؟ أرى التعب يكسو ملامحك.
تنهد وهو يحاول أن يبدو مطمئنًا:
– لا شيء، أنا بخير.

ابتسمت بعطفٍ وقالت:
– أتحاول أن تخفي عني ما أعرفه جيدًا؟ تعبك مكتوب في عينيك.
أمسك بيدها وأجاب بصوتٍ عميق:
– نعم... أعلم أنك ترينه. لكن هذا التعب، يا خليلة الروح، هو ما يزيدني فخرًا بكِ يومًا بعد يوم. حين أراكم يختفي كل عنائي، وأستمد قوتي منكِ ومن ضحكات أطفالنا.
رفعت رأسها بابتسامة يملؤها اليقين وقالت:
– هون عليك، يا زوجي العزيز، رزقنا بيد الله، وحاشاه أن يضيعنا. الخير قادم، ما دمنا متوكلين عليه.
أشرق وجهه بابتسامة صادقة هذه المرة، وقال:
– تطيب الأيام بكلماتك.

جلسوا بعدها حول المائدة. وحين مدّ الأب يده إلى كأس الماء، لمح "مان" جرحًا في كفّه الصلبة. قال ببراءة:
– أبي، ما هذا الجرح؟ كيف أصابك؟
ابتسم الأب وقال:
– أصابني حين قطعت الحطب.
فعقد "مان" حاجبيه وقال بقلق:
– أبي، لماذا تتعب نفسك هكذا؟ اجلس في البيت ودع العمل، نحن لا نريدك أن تؤذي نفسك!
ابتسم الأب بهدوءٍ وقال:
– يا بني، إن جلستُ، فمن سيطعمنا؟ ومن سيؤمن لنا قوت يومنا؟
سكت الطفل قليلًا، ثم قال ببراءة:
– لكن يا أبي، ألا تستطيع أن تستظل تحت شجرة لبعض الوقت؟ لن يلا حظ صاحب العمل، فهناك كثيرون غيرك!
نظر الأب إلى ابنه نظرة عميقة، ثم مسح على رأسه وقال بابتسامة حزينة:
– بني الحبيب، أتدري أن هذا حرام؟
فتح "مان" عينيه بدهشة وقال:

– حرام؟ كيف يا أبي؟
قال الأب بصوتٍ هادئ وقوي:
– العمل أمانة، ومن يخون عمله يخونه الله. وأنا لا أريد أن أطعمكم إلا من رزقٍ حلال، حتى لو أرهقني التعب. هذه الدنيا لا تعطي إلا لمن يسعى بصدق، ومن جدّ وجد.

سكت "مان" متأثرًا، بينما ابتسم الأب وأردف:
– اسمع يا ولدي، حين تكبر ستدرك أن التعب يزول، وأن الله يفرّج عن من يسعى ويصبر. لكن ما يبقى حقًا هو لقمة الحلال، فهي التي تبارك العمر وتملأ القلب نورًا.

تنهدت الأم وقالت مؤيدة:
– صدق زوجي... الرزق بيد الله، ومن توكل عليه كفاه.

العبرة:
ليس الفقر ما ينهك الإنسان، بل أن يمد يده إلى حرام يفسد قلبه ويفسد أسرته. والبركة لا تُنال إلا بالسعي الشريف، والرزق لا يُطلب إلا من الله، فهو الكريم الذي لا يخذل من توكل عليه.

# «الغرفة المظلمة»

كان هناك رجل عُرف بثرائه الفاحش، لا يضاهيه أحد في ماله.
شيّد قصرًا عظيمًا يتلألأ تحت ضوء الشمس، تحيطه حدائق غنّاء وأشجار وارفة. كانت النوافير ترقص في أركانه، والشموع تُضيء ممراته في الليل، حتى ليظن الناظر أنه أمام قطعة من الجنة.

في القصر خدمٌ لا يُعدّون، يهرولون هنا وهناك لتلبية طلبات سيدهم وعائلته.
الزوجة تتزين كل يوم بثياب جديدة، الابنتان تضحكان كالعصافير، والابن يجري في الأرجاء يملأ البيت حياة وضجيجًا.
وكل أسبوع، تسافر العائلة إلى بلد جديد، لا يشغلهم همّ، ولا يطرق بابهم حزن.

غير أن... وسط هذا القصر الباذخ، كانت هناك غرفة صغيرة مظلمة.
بابها قديم، يكاد يختفي بين زخارف الجدران، كأنها ليست جزءًا من القصر.
إذا فُتح، انبعث منه هواء ثقيل تفوح منه رائحة الرطوبة، وتدلّت من السقف خيوط العناكب، وتراكم الغبار على الأثاث القديم.

وفي تلك الغرفة، جلس رجلٌ عجوز.
عيناه غائرتان، يحدّق في الفراغ، لا يسمع سوى وقع خطوات الخدم حين يلقون عند بابه بقايا الطعام.
إنه والد صاحب القصر، الذي كان يومًا سيدًا مكرمًا، فإذا به الآن منبوذ، محجوز في غرفة العتمة!

كان الرجل الثري قد قال لزوجته ذات يوم:
ـ "لا أطيق صوته وأنينه، ولا أحتمل ضعفه، إنه يُعكّر صفو حياتنا.
فليجلس هنا، بعيدًا عن أعيننا."
فأومأت برأسها صامتة، واكتفت بالسكوت، وكأن الصمت تواطؤ.
وذات يوم، في مطار مكتظ بالمسافرين، كانت العائلة تستعد لرحلة

جديدة.
نادى المنادي بضرورة توجه الركاب إلى مقاعدهم.
انطلق الأبناء مسرعين، يتسابقون نحو المقاعد بجوار النافذة.
تعالت أصواتهم، وضحكاتهم اختلطت بالصراخ، حتى وصلوا إلى حد التخاصم.

صرخ الابن وهو يدفع أخواته:
ـ "هذا مكاني! لن يأخذه أحد!"
ردّت إحداهما بحدة:
ـ "بل هو مكاني أنا، سبقتك إليه!"
وقالت الأخرى:
ـ "كلاكما، هذا مكاني أنا!"

اقترب الأب بخطواتٍ سريعة، والزوجة خلفه تحاول تهدئة البنات.
جلس بجوار ابنه، ووضع يده على كتفه، وقال:
ـ "يا بني، دَع المكان لأخواتك. أنت الرجل، وعليك أن تحميهن."

لكن الابن عضّ شفته بعناد، وضرب المقعد بيده، وقال:
ـ "لا، لن أتركه! لماذا دائمًا أُجبر أنا على التنازل؟! ألسن بنات؟ دَعهن يجلسن في مكان آخر!"

تنفّس الأب بعمق، وحاول أن يلين قلب ولده، فقال بابتسامة متكلّفة:
ـ "يا بني، عندما تكبر، ستصبح السند لنا جميعًا. نحن سنشيخ، وسنضعف، وستكون الملجأ لأمك ولي، وستكون الحامي لأخواتك."

سكت الابن لحظة، ثم انفجر ضاحكًا ضحكة بريئة لكنها جارحة، وقال بصوتٍ عالٍ:
ـ "لكن يا أبي... أخواتي سيتزوجن ويرحلن! لن أبقى مسؤولًا عنهن. أما أنت وأمي... فسأفعل معكما ما فعلتَ مع جدي."

تسمرت قدما الأب، وتجمدت الدماء في عروقه. نظر إليه بعينين متسعتين، وصوته يتقطع من الصدمة:
ـ "ماذا تقول؟! ما الذي تقصده؟!"

قال الابن ببساطة جارحة، وعيناه تلمعان ببراءة قاسية:
ـ "سأضعكما في الغرفة المظلمة... تلك التي في وسط القصر، حيث جدي الآن. أليس هذا مكان الكبار؟! قلتَ أنت بنفسك إنهم يُزعجون الآخرين. سأضعكما هناك، وسأطلب من الخدم أن يلقوا لكما بقايا الطعام كما تفعلون مع جدي. لا تقلق... لن أنساكما!"

شهقت الأم، ووضعت يدها على فمها، ودموعها انهمرت بغزارة. نظرت إلى زوجها بعينين دامعتين وقالت بصوتٍ مرتجف:
ـ "أتسمع؟! هذا ابنك... لكنه في الحقيقة انعكاسك! لقد رأى بعينيه، وتعلّم منك بيديك. نحن من وضع القسوة في قلبه!"

غمر الأب شعور ثقيل لم يعرفه من قبل: صدمة، ندم، خوف، وذعر. جلس على الكرسي، وكأن وزنه صار جبلًا. رفع يديه إلى وجهه، وانفجرت دموعه من بين أصابعه، وهو يهمس:
ـ "يا الله... هذا حصاد يدي! غرستُ القسوة في أبي، فحصدتها في ابني."

التفت إلى زوجته، وقال بصوتٍ متهدج:
ـ "الدنيا تدور... لقد فهمت الدرس الآن. هيا بنا، لنُخرج أبي من تلك الغرفة المظلمة. قبل أن يأتينا اليوم... وتُغلق الأبواب علينا نحن."

العبرة

"ابنك مرآتك... فإن بررتَ والديك برّك، وإن عققتهم عقّك. فالدنيا لا تنسى ، والدنيا تدور."

# «الحب الذي اختفى»

في إحدى القرى البعيدة، حيث الجبال تلامس السماء، والبيوت الطينية تت
لاصق كالأيتام، وُلدت حكاية حبّ لم يعرف مثلها الناس.
كان هناك رجل شاب أحبّ امرأة حبًّا عميقًا، يذيب قلبه كلما رآها. أحبّته
هي أيضًا، وظنت أن قلبها وجد أخيرًا ملاذه. وحين طرق باب أهلها طالبًا
يدها، جاءه الردّ بالرفض القاطع.
بكت الفتاة أيامًا وليالي، وظنّت أن حلمها قد تلاشى. وحين رآها تبكي، ق
ال لها وهو يحاول أن يمسح دموعها: لماذا نتركهم يسرقون منّا سعادتنا؟
ما رأيك أن نهرب بعيدًا ونتزوج ونعيش معًا حيث لا يرانا أحد؟
ارتجفت، ترددت، لكن الحب غلب عقلها، فوافقت.
هربا معًا إلى قرية نائية، واستحضرا شاهدين، وكتبا عقد زواجهما، ثم بنيا
بيتًا بسيطًا. عاشت الزوجة حياةً ظنّتها جنة، تغزل له ثوبًا من حنانها،
وتطهو له بلقمةٍ من قلبها، وتضحك له ضحكة تُنسيه تعب الدنيا.
مرّت شهور، وكان كل شيء في عينيها جميلا ً. لكن قلبه بدأ يتغير؛ ف
الحب الذي ظنّته نهرًا جارٍ لم يكن إلا سرابًا. وبعد عام واحد، ضاق بها
ذرعًا، واستثقل مطالبها، مع أنها لم تطلب سوى حقها. فاستيقظ يومًا
وقال ببرود: أنتِ طالق.
ارتجف قلبها، وتراجعت خطواتها، وقالت بصوت مبحوح: لماذا؟! أكان
حبك وهمًا؟ أكنت تمثل عليّ؟!
لكنه لم يرد، بل تركها بلا مال ولا ذهب، مع أن عرف القرية يلزم المطلق
أن يعوض مطلقته.
جلست تبكي، ثم حملت قلبها الممزق وذهبت إلى قاضي القرية، رجلٍ
معروف بالعدل والحكمة.
وقفت أمامه والدموع تبلل وجهها، وقالت: يا سيدي القاضي، هذا الرجل
تزوجني ثم طلقني بغير حق، ولم يعطني شيئًا مما استوجبته العادة.
قطّب القاضي حاجبيه، وأمر بإحضار الزوج.
لكن الزوج كان أسبق، إذ ذهب مسرعًا إلى الشاهدين، وأعطاهما مالًا وقال:
إذا سألكما القاضي، فقولوا إنكما لا تعرفانني ولا تعرفانها."
ترددا أول الأمر، لكن بريق المال أعمى بصيرتهما، فوافقا.
جلس القاضي في مجلسه، وقد اجتمع الناس. حضر الزوج، وجلس

متماسكًا، بينما وقفت الزوجة ترتجف.
قال القاضي: هذه المرأة تقول إنك تزوجتها وطلقتها، ولم تعطها حقها، ما قولك؟
ابتسم الزوج بخبث وقال: زوجتي؟! لا أعرفها قط، إنها تكذب.
شهقت الزوجة، وكادت تنهار وهي تصرخ: أتُنكرني؟! ألست من أخذ بيدي ليلة هربنا؟ ألست من كتب عقدًا أمام شاهدين؟ ألست من عشت معه تحت سقف واحد؟!
قال القاضي: أين الشاهدان؟
ابتسم الزوج سرًا، كأن النصر قد اقترب منه، وقال:
هاتوهما، إن كان كلامها صحيحًا.
فجيء بالشاهدين. وقف الرجلان أمام القاضي، وقد بان الارتباك في وجهيهما.
قال القاضي: هل شهدتما عقد زواج بين هذين؟
قال الأول بعد أن ازدرد ريقه: لا  لا نعرفهما.
وأضاف الثاني: لم نرهما من قبل.
شهقت الزوجة، وتراجعت خطوتين، وعيناها تتسعان من الدهشة. صرخت فيهما:
كاذبان! أما كتبتما العقد بيديكما؟ أما استشهدناكما؟! أتباعان الدنيا وتبيعان آخرتكما؟!"
قال القاضي بصرامة: احلفا بالله أنكما صادقان.
مدّا أيديهما المرتجفة وحلفا بالله.
مال المجلس إلى تصديق الزوج، وابتسم هو ابتسامةً ظافرة، بينما بكت الزوجة من قلبها وقالت: والله إنني صادقة أيها القاضي، وإنهم لكاذبون! و الله إنني أمة الله ولن يضيعني.
عمّ الصمت، حتى خُيّل للناس أن الزمن توقف.
قال القاضي: يا ابنتي، هل عندك دليل آخر على صدقك؟"

أطرقت رأسها ثم قالت: لا أحد غيري وغير زوجي في البيت حيوان أليف وهو الكلب

انفجر بعض الحاضرين بالضحك، وقال الزوج ساخرًا: قاضٍ يحكم بشهادة كلب! أهذه محكمة أم مسرح؟!
لكن القاضي رد بلهجة صارمة: اسكت! لقد كذب الرجال، فلِم لا يصدق الحيوان؟ اذهبي إلى بيتك ومعك أعواني، فإن عرفك الكلب ولم ينبح عليك فأنت صادقة، وإن نبح طردًا فأنت كاذبة.
ضحك الزوج مستهزئًا، لكن الزوجة خرجت، ودموعها تسيل، تردد في نفسها: إني أمة الله، ولن يضيعني.
وصلت إلى البيت. وقفت عند الباب، قلبها يخفق خوفًا، وقالت: ماذا إن نبح؟ ماذا إن لم يعرفني؟ ثم مسحت دموعها وقالت: "لن يضيعني الله."
فتحت الباب، فإذا بالكلب يركض نحوها بجنون، ينبح لا طردًا بل فرحًا، يقفز في حضنها، يلعق يديها ووجهها، كأنه يقول: أين كنتِ؟ لماذا تركتني؟
بكت وهي تحتضنه، وأعوان القاضي يشاهدون الموقف بذهول.
عادوا إلى القاضي، وحكوا له ما رأوه. فغضب وصاح في وجه الشاهدين: تبًا لكما! أبهذه السهولة بعتم أمانتكما؟! خنتم ذمتكما لأجل حفنة مال؟!
ارتجفا وقالا: لقد أغوانا الزوج، وأمرنا بالكذب، والمال أعمى قلوبنا.
وقف القاضي، ورفع عصاه في الهواء، وصوته يجلجل في ساحة القرية كـ الرعد:
يا أهل القرية! اجتمعوا واسمعوا فإن في هذه المرأة عبرة، وفي قصتها آية!
ألا فاعلموا أن الكذب مهما تجمّل، عارٌ يفضح صاحبه. وأن الحقّ وإن حُورب، عالٍ لا يُغلب.

ألا فاعلموا أن المال لا يشتري الضمير، ولا يغسل الخيانة.
ألا فاعلموا أن الخيانة لم تصنعها الكلاب، بل صنعها رجال فقدوا خوف الله.
أيها الزوج الخائن! لقد ظننت أنك بمكرك تنتصر، فإذا بك تهزم نفسك، وتبيع رجولتك بدراهم معدودة.
وأنتما أيها الشاهدان! بعتم أمانتكما، وأضعتم ذمتكما، فصرتم أهون من

الكلاب... تبًا لضميرٍ باع دينه بدنياه.
أما أنتِ يا ابنة الكرام فاثبتي، فإنك قلتِ: إني أمة الله ولن يضيعني، وصدق رب العزة إذ قال:
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا • وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.
أيها الناس! تعلّموا من هذه القصة أن الكلب قد يعلّمكم معنى الوفاء، وأن الحيوان قد يسبق الإنسان إلى الصدق، وأن من خان أمانته صار أهون من البهائم.
ألا فاعلموا ما قال العرب قديمًا: من خان الأمانة فقد قتل شرفه بيديه.

فالوفاء تاجٌ لا يضعه الله إلا على رؤوس الصادقين، والخيانة سُبة لا يمحوها دهر، ولا يغسلها ندم.
قوموا... فاشهدوا أن الحق قد ظهر، وأن الله لا يضيع من اتقاه، وليكن في هذه الحكاية عظة لكل خائن، ونورًا لكل صادق."

# «عباءة القلب»

كانت المدينة تلك الليلة تغفو على ضوءٍ خافتٍ يتسلّل من نوافذ البيوت، كأنّها تتنفّس الهدوء بعد ضجيج النهار.

في أحد الأزقّة الهادئة، بيتٌ صغير، تتلألأ أنواره بلونٍ دافئ، يشي بطمأنينةٍ تسكن داخله. هناك، جلس الأب على أريكته المعتادة، يعبث بسبحته بهدوء، وقد بدأ الشيب ينسج خيوطه بين شعره الأسود. كان وجهه يحمل ملامح رجلٍ ذاق طعم الدنيا بحلوها ومرّها، لكنه بقي وفيًا لسكينةٍ لا تُشبه أحدًا سواه.

أما هي، فكانت عصفورة البيت. ابنته الوحيدة، نور قلبه وقطعةٌ من روحه ، تلك التي كان يقول عنها دائمًا: "هي آخر ضوءٍ قبل الغروب في عمري" دلّلها كثيرًا، لكنّه لم يُفسدها. كان دلاله تربيةً لا ترفًا، وحنانه حزمًا مستورًا برقة، يعلم متى يُعطي، ومتى يُمسك ليعلّم.

في تلك الليلة، قال لها مبتسمًا وهو يُغلق كتابه:

ما رأيكِ أن نخرج الليلة لنتناول العشاء سويًا؟ مضى زمنٌ طويل لم أجلس معك خارج البيت."

أشرق وجهها فرحًا، وأجابت بحماسٍ طفولي:

"فكرة جميلة يا أبي!

دخلت غرفتها لتستعد. مرّت دقائق... ثم خرجت.

توقّف الزمن لوهلة.

كانت تقف أمامه بعباءةٍ ضيّقةٍ لامعة، تُبرز جسدها أكثر مما تُخفيه، وقد كشفت وجهها، ووضعت على شفتيها شيئًا من اللون، وعلى عينيها لمعةً لم يألفها.

تجمّد الأب في مكانه.

انطفأت ملامحه فجأة، وارتجف قلبه كما لو أنّ صاعقةً من خيبةٍ أصابته.

قال بصوتٍ منخفضٍ، لكنه يحمل بحّته ألمًا كبيرًا:

"ما هذا يا صغيرتي؟ إلى أين تظنين أننا ذاهبان؟! نظرت إليه باستغرابٍ دفاعي، وقالت: "يا أبي، هذه هي الموضة الآن. كل البنات يلبسن هكذا، وصديقاتي يسخرن مني لأنني أرتدي العباءة القديمة. الجميع تغيّر، ألا تريدني أن أبدو جميلة؟ أنتَ دائمًا تقول إنني دلوعتك، أليس كذلك؟"

ابتسم الأب ابتسامةً كسيرة، كأنها مزيجٌ من الحنان والحسرة، ثم قال: "نعم، أنتِ دلوعتي، لكن دلعكِ لا يعني أن تكسري حدود الله." اقترب منها خطوة، ووضع يده على كتفها، وقال بصوتٍ هادئٍ لكنه آسر: عودي إلى غرفتك، وارتدي ما اعتدتِ عليه من الستر، وسأحدّثكِ بعد ذلك، وعدٌ مني أن تفهمي كل شيء.

تردّدت لحظة، ثم قالت بعتبٍ طفولي:

"لكن جاوبني أولًا، لماذا؟"

نظر إليها طويلًا، ثم قال: "سأجيبكِ هناك... حين نصل إلى المكان الذي سأريكِ فيه الجواب بعينكِ." رجعت بخطواتٍ بطيئة، غيّرت ملابسها، وارتدت عباءتها السوداء الفضفاضة التي تغمرها من رأسها إلى قدميها، ولم يظهر منها سوى لمعة عينيها.

حين خرجت إليه، ابتسم وقال بهدوءٍ غامر:

"هكذا ابنتي... التي لا تجعل أباها في النار.

رفعت حاجبيها دهشةً وقالت: ولِمَ أدخلك النار يا أبي؟ أنا لا أحتمل أن يصيبك ألمٌ بسيط، فكيف أؤذيك؟"

لم يجب. ابتسم فقط، وقاد السيارة في صمتٍ يشوبه الحزن العميق. وصلوا إلى مطعمٍ أنيقٍ على أطراف المدينة، تغمره الأضواء الدافئة. جلسا في زاويةٍ هادئة، تطلّ على حديقةٍ صغيرةٍ تُزيّنها أشجار النخيل.

طلب الأب طعامين: أحدهما مكشوف، والآخر مغطّى بغطاءٍ فضّيٍّ لامع. وحين أحضرهما النادل، قال الأب بابتسامةٍ غامضة: "اختاري يا صغيرتي أيّهما نأكل.

نظرت إلى الطبقين مليًّا.

كان المكشوفُ يبدو جميلًا في لونه ورائحته، أمّا المغطّى فكان يثير في نفسها فضولًا عجيبًا. مدت يدها نحو المغطّى وقالت: "أختار هذا.قال مبتسمًا: ولماذا؟ المكشوف أمامك واضح، تعرفين ما فيه، أليس أسهل؟

رفعت رأسها وقالت بعفويةٍ ممزوجةٍ بفضول: ربما... لكن المغطّى يثير شهيتي أكثر، لا أعرف ما فيه، ربما يكون ألذّ، فيه غموض يجذبني!"

صمت الأب لحظةً طويلة، ثم وضع كفّه على يدها وقال بصوتٍ رقيقٍ كمن يُلقي حكمةً من قلبه: هكذا أنتِ يا ابنتي حين تسترين نفسكِ. مثل هذا

الطبق المغطّى، يثير الفضول لا الفتنة، يُثير الاحترام لا النظرة. أما حين تكشفين ما لا ينبغي كشفه، تكونين مثل الطبق المكشوف: قد يُعجب البعض بلونه أو رائحته، لكن لا رغبة حقيقية فيه... يفقد قيمته بعد أول نظرة.

ارتجفت نظراتها. اتّسعت عيناها دهشةً كما لو أنها تسمع لأول مرة صوت الحكمة بصورتها النقية.

قالت بصوتٍ خافتٍ: "الآن فهمت يا أبي... فهمتُ أن الستر لا يُخفي الجمال، بل يحفظه. وأن العباءة ليست قيدًا... إنها تاج. ابتسم الأب بارتياحٍ عميق، ثم قال: وأما عن النار التي ذكرتها، يا ابنتي، فاللّٰه حين يسألني يوم القيامة: (فيما استخلفتك؟ وماذا فعلت بأمانتك؟) سيسألني عنكِ. فإن خرجتِ بما يُغضبه، عاقبني قبلك، لأني لم أحمِك كما يجب. فأنا لا أريد أن أُسأل أمام اللّٰه: أين كنت حين تعرّت ابنتك؟

غرقت الدموع في عينيها، وهمست وهي تُمسك بيده: لن أكون باب نارٍ لك يا أبي. لن أُفرّط فيما علّمتني. سأستُر نفسي... وأستُرك من النار."

ضمّها إلى صدره وقال وهو يغمض عينيه بطمأنينةٍ لم يشعر بها منذ زمن: "هكذا أردتكِ يا صغيرتي... عباءةً لقلبكِ قبل جسدك.

العبرة:

في زمنٍ تعرّت فيه القيم قبل الأجساد، صار الستر رسالةَ وعي، لا عادة. ليس كل من كشف زينته جميلا ً، ولا كل من سترها غائبًا عن الجمال. فالجمال الذي تُخفيه العباءة، هو الجمال الذي يراه اللّٰه... لا الناس. وإن كان للأباب فضل التربية، فحُقّ على الأبناء أن يجعلوا سترهم سترًا لآبائهم من النار.

تم بحمد لله

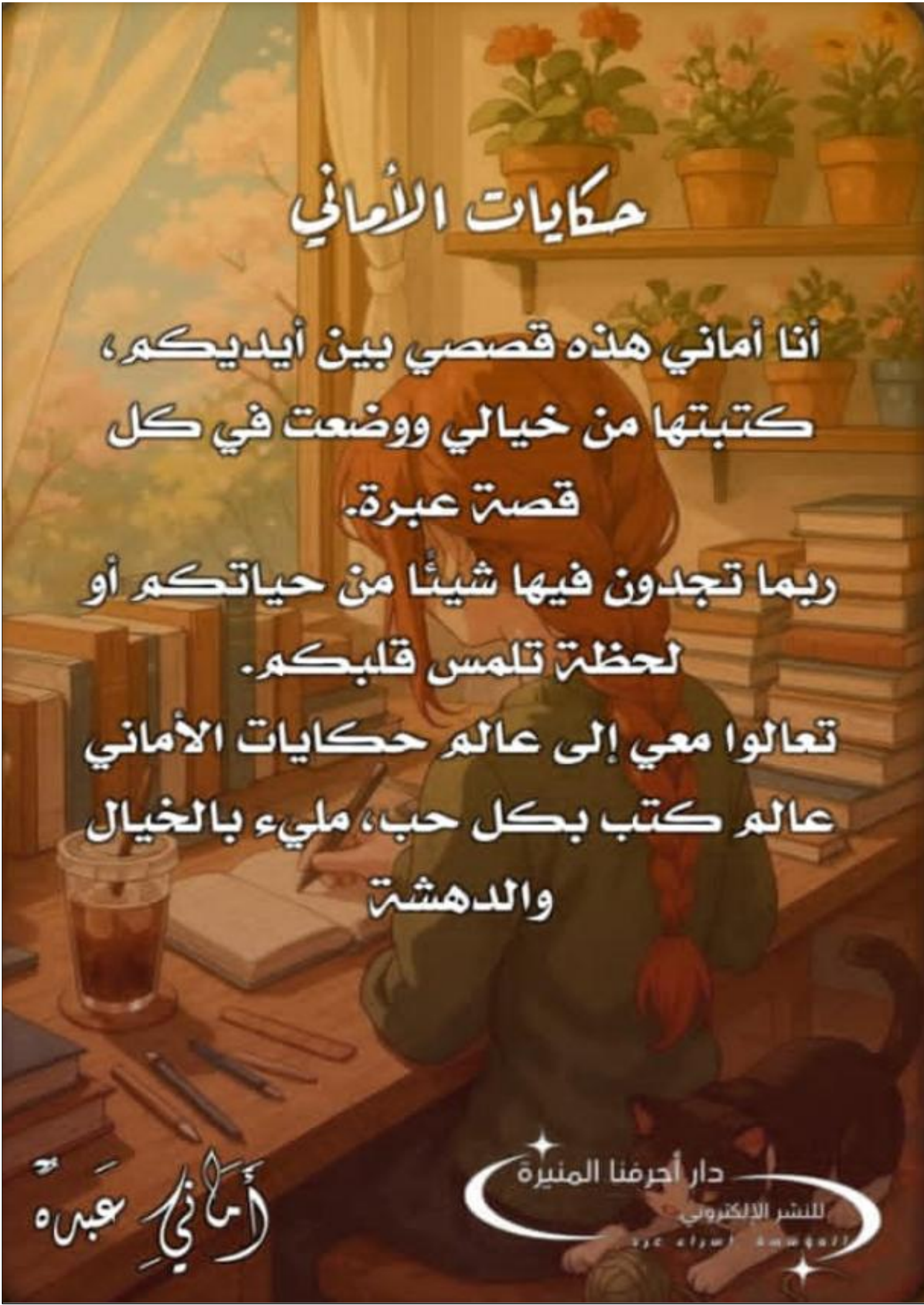
حكايات الأماني
أنا أماني هذه قصصي بين أيديكم،
كتبتها من خيالي ووضعت في كل
قصة عبرة.
ربما تجدون فيها شيئًا من حياتكم أو
لحظة تلمس قلبكم.
تعالوا معي إلى عالم حكايات الأماني
عالم كتب بكل حب، مليء بالخيال
والدهشة
أماني عبده
دار أحرفنا المنيرة
للنشر الإلكتروني